

ثم ﴿رَبِّكَ﴾ في الرحمة والعذاب، تلميحاً أنهم كانوا مشركين، لهم أرباب متفارقون، وأن هذه الرحمة غير محدودة تستقصي كل ما بالإمكان من رحمة رحيمية، وكما أنزل كل رحماته على هذا الرسول العظيم.

كما وأن عذابه في موقفه العدل لا يحد ولا يمنع: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ ﴿٢٦﴾﴾ (١).

ثم ﴿لَذُو مَغْفِرَةٍ﴾ تعم النشأتين، والأولى هي المعلومة المتيقنة هنا، حيث المشرك لا يغفر في الأخرى، فعله قد يغفر عن مثلات العذاب هنا لعلهم يرجعون، أم يزيدهم عذابهم في الأخرى، كما وأن عذابهم في الأولى لعلهم يرجعون: ﴿وَيَلْوَنُهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (٢) ﴿لِيُذَيِّقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (٣) ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (٤).

إذا فليس غفر المشركين يوم الدنيا سماحاً عنهم فيما يظلمون، وإنما تأجلاً عنهم لعلهم يرجعون، أم يزيد في عذابهم إن كانوا على الحنث العظيم يصرون: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَفِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ...﴾ (٥).

أجل وإن باب التوبة والمغفرة مفتوحة بمصراعيها على كافة الناس في هذه النشأة على شروطها المسرودة في القرآن، ثم من المعاصي ما تغفر دون توبة في النشأتين كصغائر السيئات لمن يجتنب كبائر ما ينهى عنه، وصغائر الواجبات لمن يأتي بكبائر الحسنات، ثم لا مغفرة بعد الموت لمن مات

(١) سورة الفجر، الآيتان: ٢٥، ٢٦.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٦٨.

(٣) سورة الروم، الآية: ٤١.

(٤) سورة السجدة، الآية: ٢١.

(٥) سورة إبراهيم، الآية: ٤٢.

مشرکاً فضلاً عن الملحد: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ (١).

و﴿لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ﴾ دون غافر أو غفور، للإشارة إلى عدم فعلية الغفران لمن هو في حالة الظلم والطغيان، ولا سيما الظلم بعباد الله حيث لا يغفر إلا ان يغفروا هم ظالمهم، فقد تدل «ذو» على شأنية الغفران للظالمين على ظلمهم إن تركوا ظلمهم وجبروا ظلامتهم، فليس هو تعالى ليغضب على الظالم لحد يسد عنه باب الغفران، ولأن الظلم يعم كل صغيرة وكبيرة فهذه الآية مما تشهد لغفران الكبائر كما الصغائر - وطبعاً - بشروطه (٢) فليعيش الظالمون بين الخوف والرجاء ف«لو لا عفو الله وتجاوزه ما هنا لأحد العيش ولو لا وعيده وعقابه لا تكل كل أحد» (٣).

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ

هَادٍ ﴿٧﴾﴾ :

لقد طعنوا في نبوته بنكران الحشر أولاً، وباستعجال عذاب الاستئصال ثانياً، وهنا يستأصلونها - في زعمهم - أن ليست لنبوته آية ثالثاً - وبذلك الثالث المنحوس يظنونهم غالبين! ولم يأتوا فيها بشيء مبين إلا شبهات واهية وادعاءات خاوية! ﴿لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ﴾ هي مقالة الناكرين لهذه الرسالة السامية، وليست هي من آيات الشرعة التدوينية فهناك القرآن أفضل آية! إذا فهي آية تكوينية لرسالته كما أوتي رسل الله من قبل: ﴿وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ

(١) سورة النساء، الآية: ٤٨.

(٢) الدر المنثور ٤: ٤٥ - أخرج ابن جرير عن ابن عباس في الآية قال رسول الله ﷺ:

(٣) الدر المنثور ٤: ٤٥ - أخرج ابن جرير عن ابن عباس في الآية قال رسول الله ﷺ: لولا..

رِسَالَتُهُ... ﴿١﴾ فقد كانت له آيات تكوينية عابرة على ضوء آية القرآن القمة الأصيلة، ولكنهم كانوا يتطلّبون منه آية كما أوتي رسل الله، تعذيبية مدمرة، أم إرشادية مقترحة كما يشتهون، وهذه الآية كأضرارها إجابة قاطعة عما كانوا يقترحون، فعن آيات مستأصلة: ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأُولُونَ وَءَاتَيْنَا ثُمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ (٢) (٣) وعن سائر الآيات الحسية العابرة ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ فتلك الآيات الغابرة كانت تهدي من له شرعة عابرة، ولكننا الشرعة الدائبة القرآنية فأيتها دائبة كما هي، فلا تكون - إذاً - كما أرسل الأولون.

وعن مطلق الآيات المقترحة أيًا كانت: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ﴾ دونما أصالة في الإتيان بآية، أم وكالة عن الله في آية آية: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (٤).

طبيعة آيات الرسالات أن تدل على صادق الوحي تديونية كانت أم تكوينية، تخويفية أمأهيه، فإنما الغاية المقصودة منها هي الحجة البالغة الإلهية، فليست - إذاً - في كمياتها وكيفياتها، في أمكنتها وأزمنتها، في الرسل الذين يؤتونها، ليست في ذلك كله إلا كما يراه الله ويرضاه سالحة للتدليل على رسالة الوحي، ف﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ (٥): رسالة الوحي، ورسالة الآية الدالة على الوحي أمأهيه من كمية وكيفية في أيّ زمان أو مكان من رسالته.

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٢٤.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٥٩.

(٣) راجع تفسيرها في الإسراء.

(٤) سورة الأنعام، الآية: ١٠٩.

(٥) سورة الأنعام، الآية: ١٢٤.

ف ﴿لَوْلَا أَنْزَلْ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ﴾ نكران لربوبيته له وإن كان رباً، إذ ما خوّله استنزال آيات كما يريدون، ومنها السيئة التي بها يستعجلون، وكسائر الآيات التي أرسل بها النبيون، والجواب كلمة قاطعة قاصعة: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ و﴿إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ ﴿٥٠﴾ أَوْلَمَ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ كَفَى بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا... ﴿١﴾.

﴿وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانْتَظِرُوا...﴾ ﴿٢﴾ مما يخص العلم بالآيات المعجزات والقدرة عليها واستصلاحها بالله تعالى شانه العزيز.

وهنا نجد في الإجابة عن سؤال: ﴿لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ﴾ تعريفاً بكيان الرسول ككل ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ﴾ إنذاراً بالوحي: ﴿إِنَّمَا أَنْذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ﴾ ﴿٣﴾ وأما الوحي وآية الوحي فليست منهما في شيء، فإنهما - فقط - من الله دون سواه! ثم ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ من رسول كما أنا، ومن وحي كما القرآن، ومن آية للوحي كالقرآن وما قبله من آيات معجزات، ومن سائر ما يدل على رسالة الوحي.

ليس ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ عطفاً على ﴿مُنذِرٌ﴾ إذ لم يكن الرسول بشخصه ولا برسالته هادياً لكل قوم، حيث الأقوام قبله وقبل أقوامه كانت لهم هدايات سواه، ثم الصيغة الصحيحة عن مغزى العطف «إنما أنت منذر وهاد لكل قوم» حتى لا يلتبس المعني بينه وبين سواه، حيث القرآن بيان في قمته، ثم لا رباط في هداية ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ كما لا رباط بخصوص الهداة إليه، فلتعم كل هدى لكل قوم، أصلية وفرعية، رسالة أم آية لها معجزة تدل عليه.

(١) سورة العنكبوت، الآيات: ٥٠-٥٢.

(٢) سورة يونس، الآية: ٢٠.

(٣) سورة الأنبياء، الآية: ٤٥.

فإنما ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ﴾ تسلب عنه سائر المسؤوليات والمسئلات إلا الإنذار، فليس آية الوحي بيده كما الوحي، فإنهما من عند الله، ثم الله لا يهدي كل الأقوام بنسق واحد وآية واحدة، بل ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ إلى رسالة الوحي، ﴿هَادٍ﴾ رسولي ككافة الآيات المعجزة وفقاً لمناسبات الزمن وأهله والحاجيات التي يعيشونها، ووفقاً لصبغة الرسالة وصيغتها وصنيتها، فالرسالة القرآنية في أجواء الفصاحة والبلاغة تتطلب آية خالدة تمشي مع الزمن هادية في كل الزمن حتى آخر الزمن، وهي بمتناول الأيدي في كل مكان وزمان، زمن الرسول وبعده حتى آخر زمن التكليف، إذا فلا هادي إلى رسالة الوحي الأخير إلا نفس الوحي الأخير في صيغة التعبير، وما يحويه من كل صغير وكبير: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾^(١)؟!، مهما كان نفس الرسول قرآناً كما القرآن وأفضل، حيث يزيد بياناً وتفسيراً وتعبيراً علمياً وتطبيقاً ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ﴾^(٢) فهو القرآن يهديان إلى رسالة وحيه أصالة، ولكننا الهداية المنفصلة عنه إلى وحيه وشرعته تتمثل في الهداة معه وبعده، و«لكل قوم» يشملهم ومن قبلهم من رجالات السماء وخلفائهم، والقرآن آية خالدة تمشي مع الزمن بردح يوازي ردح الرسالة لرسول الزمن محمد ﷺ .

فلا تنوب مناب هذه الآية الخالدة آية مضت في الرسائل الخالية غير الخالدة، إذ ليست لتهدى إلى هذه الرسالة السامية حجة لها بالغة، إلا عابرة غابرة تخص زمن الرسول.

ومن ثم هناك هاد رسالي كمن رباه الرسول وصنعه على عينه من هارون لموسى والحواريين للمسيح، ومن علي أمير المؤمنين للرسول الأقدس محمد ﷺ فإنه هاد لرسالة وحيه وشاهد منه:

(١) سورة العنكبوت، الآية: ٥١ .

(٢) سورة يس، الآية: ٦٩ .

﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيْنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِ كَتَبَ مُوسَىٰ
إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ مِّن الْأَحْزَابِ فَآلَتَارُ
مَوْعِدُهُ... ﴿١﴾ وقد تلاه شاهد لرسالته منفصل عنه متصل به لأنه منه .

فعلي عليه السلام أصدق مصاديق من ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ وكما يروى عن
الرسول صلى الله عليه وسلم فيما تواتر عنه أنه وضع صلى الله عليه وسلم يده على صدره فقال: أنا المنذر
وأوماً بيده إلى منكب علي عليه السلام فقال: أنت الهادي يا علي بك يهتدي
المهتدون من بعدي» ^(٢) اهتداء إلى هذه الرسالة السامية دون أية نقيصة أو
زيادة.

ليس لعلي عليه السلام دور الهداية مستقلة عن هدي الوحي، وإنما هو -
وعلى حدّ تعبيره - «فرسول الله صلى الله عليه وسلم المنذر وأنا الهادي إلى ما جاء به» ^(٣)

(١) سورة هود، الآية: ١٧ .

(٢) الدر المثور ٤ : ٤٥ - أخرج ابن جرير وابن مردويه وأبو نعيم في المعرفة والديلمي وابن
عساكر وابن النجار قال لما نزلت: إنما أنت منذر ولكل قوم هاد - وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم
يده... وأخرج مثله ابن مردويه عن أبي برزة الأسلمي سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إنما
أنت منذر ووضع يده على صدره نفسه ثم وضعها على صدر علي ويقول: لكل قوم هاد أخرج
عبد الله بن أحمد في زوائد المسند وابن أبي حاتم والطبراني في الأوسط والحاكم وصححه
وابن مردويه وابن عساكر عن علي بن أبي طالب عليه السلام في الآية قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم المنذر
وأنا الهادي .

(٣) نور الثقلين ٣ : ٤٨٢ ج ١٥ أمالي الصدوق بإسناده إلى عباد بن عبد الله قال قال علي عليه السلام ما
نزلت من القرآن آية إلا وقد علمت اين نزلت وفيمن نزلت وفي أي شيء نزلت وفي سهل نزلت
أو في جبل نزلت قيل فما نزل فيك؟ قال: لولا أنكم سألتموني ما أخبرتكم نزلت في هذه الآية
﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [الرعد: ٧] فرسول الله . .

ح ١٧ روى الحاكم أبو القاسم الحسكاني في كتاب شواهد التنزيل بالإسناد عن أبي بردة
الاسلمي قال: دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالطهور وعنده علي بن أبي طالب فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم
بيد علي بعدما تظهر فألزقها بصدره ثم قال: إنما أنت منذر ثم ردها إلى صدر علي ثم قال:
ولكل قوم هاد ثم قال: إنك منارة الأنام وغاية الهدى وأمير القرى اشهد على ذلك أنك
كذلك .

- «فالهادي بعد النبي ﷺ هاد لأمته على ما كان من رسول الله ﷺ» (١)
كما وإن «كل أمام هادي كل قوم في زمانه» (٢).

ف «لا تخلو الأرض من قائم بحجة الله إما ظاهر مشهور وإما خائف
مغمور لئلا تبطل حجج الله وبيئاته» (٣).

ولئن سألنا: من هو الهادي بعد دور الرسول والائمة الحضور زمن
الغائب المغمور، القائم الموتور؟ فهل إنه العالم العليم الأتقى الأعلم في
كل دور وكور، وليست هدايته خالصة كما الرسول ﷺ والائمة من آل
الرسول ﷺ فهذه الهدى غير المعصومة ولا العاصمة ليست بالتي تصلح
خليفة من خلفاء الرسول في ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ﴾؟! قلنا إن الهادي المعصوم
على مر الزمان منذ الرسول ﷺ حتى القيامة الكبرى هو القرآن العظيم،

- (١) المصدر ح ١٨ كشف المحجة عن أمير المؤمنين ﷺ حديث طويل وفيه قال الله لنبية:
﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [الرعد: ٧] فالهادي بعد النبي هاد لامته على ما كان من
رسول الله ﷺ فمن عسى أن يكون الهادي إلا الذي دعاكم إلى الحق وقادكم إلى الهدى.
- (٢) المصدر ح ١٩ وفي كتاب كمال الدين وتمام النعمة بإسناده إلى محمد بن مسلم قال قلت لأبي
جعفر في هذه الآية فقال . . . ومثله ٢٠ في أصول الكافي بإسناده عن الفضيل قال سألت أبا
عبد الله ﷺ عن قول الله ﷻ: ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [الرعد: ٧] فقال: كل إمام هاد للقرن
الذي هو فيهم، ومثله ح ٢١ القمي بإسناده عن بريد العجلي عن أبي جعفر ﷺ في الآية
قال: رسول الله المنذر ولكل زمان منا هاد يهديهم إلى ما جاء به نبي الله ﷺ ثم الهداة من
بعده علي والأوصياء واحداً بعد واحد، فيه ٢٣ الكافي بإسناده عن أبي بصير قال قلت لأبي
عبد الله ﷺ: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [الرعد: ٧] فقال: رسول الله ﷺ المنذر
وعلي الهادي يا أبا محمد هل من هاد اليوم؟ قلت: بلى جعلت فداك ما زال منكم هاد من بعد
هاد حتى دفعت إليك فقال: رحمك الله يا أبا محمد لو كانت إذا نزلت آية على رجل ثم مات
ذلك الرجل ماتت الآية مات الكتاب ولكنه حي يجري فيمن بقي كما جرى فيمن مضى:
- (٣) المصدر ح ٢٤ القمي عن حماد عن أبي بصير عن أبي عبد الله ﷺ قال: المنذر
رسول الله ﷺ والهادي أمير المؤمنين وبعده الأئمة ﷺ وهو قوله: ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾
[الرعد: ٧] في كل زمان هاد مبين وهو رد على من ينكر أن في كل أوان وزمان إماماً وأنه لا
تخلو الأرض . .

فكما الرسول كان ينذر بالقرآن كذلك خلفاءه المعصومون الهادون إلى ما كان عليه، وليكن العلماء الربانيون هداة بالقرآن كما يحق ويتمكنون، ثم الأخطاء حينئذ قلة مغفورة، أو مردودة إلى كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ وإن «القرآن لم يمت وانه يجري كما يجري الليل والنهار وكما يجري الشمس والقمر»^(١) فإنه «حي لا يموت»^(٢) مهما وقف الرسول ﷺ والأئمة عن الجري، أو ماتوا وغاب آخرهم، فالقرآن لا يموت ولا يغيب عن المسرح إلا إذا غيبت حملته، وخانته أمنتته، اللهم غيب الحملة الخونة وأظهر الأئمة.

﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾^(٨)

تعريفه واسعة في هذه الآية وما بعدها بالسعة العلمية الإلهية وإعمال القدرة بمقدارها الصالح والأصلح، تربطها بما قبلها لكيلا يظن حماقي الكفر والطغيان أنه تعالى يعجز أو يضمن بإنزال آية كما يقترحون.

فالعلم المطلق بما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام وتزداد، هو من اختصاصات الربوبية، فلا يطارد مطلق العلم في بعض الأحوال بالبعض مما في بعض الأرحام، ما كشف عنه علم الجنين أو سيكشف، وما قد يعلمه أولوا العلم المعصومون وسواهم.

(١) المصدر ح ٢٧ العياشي عن عبد الرحيم قال أبو عبد الله ﷺ إن القرآن لم يمت وأنه يجري . . .

(٢) المصدر ح ٣٦ العياشي عن عبد الرحيم القصير قال كنت يوماً من الأيام عند أبي جعفر ﷺ فقال يا عبد الرحيم قلت لبيك قال قول الله: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [الرعد: ٧] إذ قال رسول الله ﷺ أنا المنذر وعلي الهادي ومن الهادي اليوم؟ قال: فمكث طويلاً ثم رفعت رأسي فقلت جعلت فداك هي فيكم توارثوها رجل فرجل حتى انتهيت إليك فأنت جعلت فداك الهادي قال: صدقت يا عبد الرحيم أن القرآن حي لا يموت والآية حية لا تموت.

و﴿تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى﴾ هنا تحمل كل أنثى من شأنها أن تحمل، دون إبقاء، حيث الكل في لسان خالق الكل ليس ليختص بالبعض من الأنثى التي نعرفها.

فكل أنثى من إنس وجان أم أي نبات أو جماد أو حيوان أم أيًا كان في فسيح الكون، معنيّة بـ ﴿كُلُّ أُنْثَى﴾ من ذوات الأرحام وسواها، مما تغيض وتزداد وسواها، فناصية الآية تعمها كلها مهما اختصت الباقية بذوات الأرحام.

ثم ﴿مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى﴾ تعم حملها حينما تكون ﴿مَا﴾ مصدرية، وما تحمله موصولة، كما فيما تغيض الأرحام وتزداد.

وفيما يخص ذوات الأرحام من مطلق الحيوان إنساناً وغير إنسان ليس ﴿مَا تَحْمِلُ﴾ الجنين فقط، أو النطفة الجرثومية فقط، بل هو كل ﴿مَا تَحْمِلُ﴾ كُلاً أُنْثَى﴾ من ماء الذكر في كفه وكيفه بعديد الملايين من دوداته العلقية المنوية، أم من أصلاب عقم في أرحام عقم، أم دون عقم في أرحام ولودة، وفي الولادة حين تنضج أو تعقم لحالات طارئة أم معمّدة، وفي الناضجة حين تجهض أم تلد سليمة أم ناقصة، أم اية حال على أية حال.

ثم الغيض هو النقص بابتلاع كما ﴿وَعِضَ الْمَاءِ﴾^(١) ابتلع، والغيضة هي المكان الذي يقف فيه الماء فيبتلعه، ولأن حقيقة الغيض إنما يوصف بها الماء فـ ﴿وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ﴾ هو الماء، وهنا بطبيعة الحال مطلق السائل حيث الأرحام لا تبتلع الماء القراح، فغيضها يعم مياه المنى والنطف، ومياه الحيض.

ولأن ﴿وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ﴾ هنا مطلق فقد يعمهما، وأين غيض من غيض و﴿وَمَا تَزْدَادُ﴾ في كلّ بحسبه.

(١) سورة هود، الآية: ٤٤.

فمما ﴿تَغِيضُ الْأَرْحَامُ﴾ وتبتلع، النطف التي تجذبها إلى أعماقها في قراراتها، وتشتمل على نفاياتها، فيكون ما غاضته من ذلك الماء سبباً لزيادة فيها وسعة لها حيث تصبح علقة ثم مضغة ثم عظماً ثم كسوة لها لحماً ثم إنشاء لخلق آخر فإنساناً، والعطف هنا ﴿وَمَا تَزْدَادُ﴾ في ذلك الردف يجمع بينهما في ولودة الأرحام.

ومنها ما تبتلع غيض الانتقاص الامتصاص بأن تفسده أو تجهضه، إذا ف ﴿وَمَا تَزْدَادُ﴾ قد تعني زيادة الابتلاع الأول فزيادة في الأجنة ذكراً وأنثى^(١) أما زاد، وبينهما عوان أن تغيض جنيناً واحداً فتغيض هكذا ولا تزداد ومما ﴿تَغِيضُ الْأَرْحَامُ﴾ النقص في مدة الحمل وازديادها بين أقلها: الستة وما دونها، وأقصاها: التسعة أو ما زاد^(٢) والمستفاد من آية العامين: ﴿وَفِصْلُهُ فِي عَامَيْنِ﴾^(٣) وآية الحمل ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾^(٤) أن أقل الحمل ستة، ثم لا يزيد على تسعة إلا أياماً قلائل، فأغرب بالأئمة الثلاثة كيف مدوها إلى سنتين وأربع وخمس^(٥)؟.

(١) نور الثقلين ٣: ٤٨٥ ح ٣٣ العياشي محمد بن مسلم وحرمان وزرارة عنهما عنهما قالوا: ﴿مَا تَحْمِلُ كُلُّ أَنْثَى﴾ أنثى أو ذكر ﴿وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ﴾ التي تحمل ﴿وَمَا تَزْدَادُ﴾ [الرعد: ٨] من أنثى أو ذكر، عن محمد بن مسلم قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله: ﴿مَا تَحْمِلُ كُلُّ أَنْثَى وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ﴾ [الرعد: ٨] قال: ما لم يكن حملاً ﴿وَمَا تَزْدَادُ﴾ قال: الذكر والأنثى جميعاً.

(٢) في تفسير الفخر الرازي ١٩: ١٥، مدة ولادته قد تكون تسعة أشهر وأزيد عليها إلى سنتين عند أبي حنيفة وإلى أربعة عند الشافعي وإلى خمس عند مالك وقيل أن الضحاك ولد لسنتين وهرم بن حيان وبقي في بطن أمه أربع سنين ولذلك سمي هرمياً.

(٣) سورة لقمان، الآية: ١٤.

(٤) سورة الأحقاف، الآية: ١٥.

(٥) نور الثقلين ٢: ٤٨٥ ح ٣٢ العياشي عن أحدهما عليه السلام في ﴿مَا تَحْمِلُ كُلُّ أَنْثَى﴾ يعني الذكر والأنثى ﴿وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ﴾ [الرعد: ٨] قال: الغيض ما كان أقل من الحمل ﴿وَمَا تَزْدَادُ﴾ ما زاد من الحمل، فهو كلما زاد من الدم في حملها ح ٣٥ زرارة عن أبي جعفر عليه السلام في قول =